حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح

مفوضية الإعلام والثقافة والتعبئة الفكرية

المفكرون العرب

بين الأدب والفلسفة والجدل
نظرات في فكر عدد من المفكرين العرب

مفوضية الإعلام والثقافة والتعبئة الفكرية

مقدمة

تقدم لكم لجنة التعبئة الفكرية في مفوضية الاعلام في حركة فتح مجموعة مختارة من المقالات التي تتحدث عن عدد من المفكرين والمثقفين العرب المشارقة الذين بذل الكاتب المغربي أنغير بوبكر جهدا في قراءة فكرهم وبعض أثرهم مقدمين له الشكر الموصول، ونقدم أجزاء من المقالات الفكرية هذه (وليس كل المقال) للكوادر والأعضاء في حركة فتح للتفهم والتأمل وليس بالضرورة التبني، ما يفترض أن يعطي في الذهن إشارات قد تفتح أبوابا جديدة للتفكر ذاتيا وجماعيا عن طريق الاجتماعات الدورية والندوات والدورات واللقاءات، ونعرضهم لكم كالتالي

١-غربة الراعي: سيرة ذاتية لعالم فلسطيني مرموق اسمه احسان عباس .

٢-المفكر اللبناني علي حرب، منظر الثورات الناعمة وناقد الحقيقة والنص

٣-جورج طرابيشي المفكر الحداثي المتنور، فولتير الفكر الاسلامي

٤-عبد الرحمن بدوي : عميد الفلاسفة المعاصرين وموسوعي متبحر في العلم والترجمة

٥-هشام غصيب : المفكر الاردني المهموم بالتقدم والديموقراطية والجدل.

وفي تلخيصنا للمجمل العام للمقالات نقرا معا التالي

احسان عباس هو الفلسطيني الذي عاش ازمات المنطقة بقلبه وجوارحه وعقله والتي اثرت تأثيرا كبيرا في الكاتب وصاغت شخصيته التي تميز بها الى ان حان وقت رحيله سنة ٢٠٠٣ بعد رحلة علمية تعليمية شاقة بكل من حيفا وصفد والقدس و القاهرة والخرطوم وبيروت حيث قضى اكثر من عقدين من الزمن في الجامعة الامريكية ، فقد عاش الكاتب مراحل من نضال قريته عين غزال و الشعب الفلسطيني عموما ضد الانجليز كما اكتوى بنار النكبة الفلسطينية سنة ١٩٤٨ وذاق مرارة الحرمان من الارض والوطن وتجرع علقم التنقل.

اما المفكر اللبناني علي حرب فيقول عنه أنغير بوبكر أنه: ينتمي الى جيل المفكرين والنقاد الذين ولدوا في فترة الاستعمار وازدهار حركات التحرر الوطني ، وهذا جيل ثقافي وفكري متفرد باعتباره شاهد عيان على المعارك الثقافية والفكرية والسياسية الكبرى التي عرفها العالم ،من سقوط العرب امام (اسرائيل) عسكريا وسياسيا وتبخرالاوهام الوحدوية العربية و سيطرة انظمة ديكتاتورية تسلطية على رقاب الناس ويضيف منبهرا بالقول أن: كتابات وافكار علي حرب تقوي في جيلنا فكر التحرر والانعتاق من المعتقدات البالية والافكار المثالية المتعالية على الاحداث والتجارب ، لذلك فكره يحذرنا من القوالب الفكرية المتحجرة والمتاريس العقائدية ومن فكر المؤامرة الدائمة والافخاخ الذاتية لحجب الكائن او لشن الحرب على الاخر" فليس الاخر هو الجحيم دائما" وتعليق كل اخطائنا وعثراتنا على العدو المفترض والمصنوع والذي يواجهنا عند كل رغبة في الانتفاضة على الاوضاع القائمة و الرغبة في التحول الديموقراطي المشروع .

اما عن المفكر جورج طرابيشي ذو الفكر الذي قد يختلف معه الكثيرون او يتفقون، ولكنه من الزاوية المعرفية العلمية والنقدية يستحق القراءة أو نقضه ورفضه والرد عليه يقول فيه صاحب المقال أنغير بوبكر : أن المفكر جورج طرابيشي الي أمضى ٢٥ عاما في نقد فكر محمد عابد الجابري أصبح ينعتق من أسر التصنيفات الايديولوجية رويدا رويدا

متجاوزا الاقانيم الفكرية التقليدية من قومية واشتراكية الى رحاب التحليل العلمي المنضبط فقط للمناهج التفكيكية والبنوية العلمية متأثرا بما اسماه التبعية للعلم.

وعن المفكر د.عبدالرحمان بدوي نقول أن سيرته هي سيرة حياة الفيلسوف التي تمثل منهاجا ضروريا لكل من أراد الاطلاع على تاريخ الافكار الفلسفية بأوروبا والعالم، حيث قدم عبد الرحمان بدوي اسهاما حقيقيا للمكتبة الفلسفية والادبية العربية لذلك استحق ان يسمى بعميد الفلاسفة المعاصرين وموسوعة حقيقية في التحقيب التاريخي والعمراني للافكار الثقافية والاتجاهات السياسية السائدة في اوروبا والعالم اجمع.

وعن المفكر الأردني الماركسي هشام غصيب نقرأ عن كتابه جدل الوعي العلمي أنه يتعرض ل: اشكالات الانتاج الاجتماعي للمعرفة ، حيث يبسط المفكر فكره بوضوح شديد بمنهجية علمية مهووس بفكرة التقدم الحضاري وتجاوز التخلف ، فالكتاب خريطة طريق من اجل الخروج من شرنقة التخلف والتبعية للغرب في جميع مستوياتها ، والكتاب يحمل التزاما واضحا نحو تطوير الوعي الجماهيري ليقوم بادواره التنويرية المصيرية لتحقيق الثورة الاجتماعية والثقافية والفكرية التي من شان تحقيقها ان تجعلنا نحيا حياة كريمة في ظل انظمة اقتصادية وسياسية عادلة ومستنيرة.

لجنة التعبئة الفكرية في حركة فتح

سبتمبر ٢٠١٧

غربة الراعي : سيرة ذاتية لعالم فلسطيني مرموق اسمه احسان عباس .

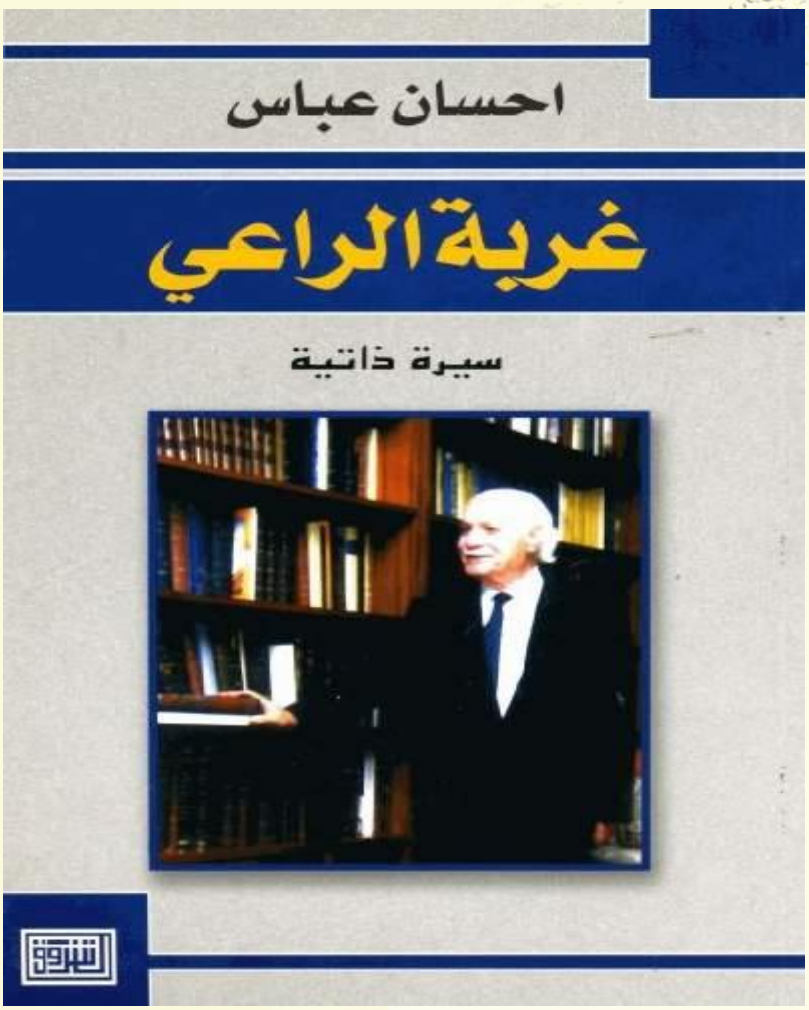

الصدفة فقط هي من دفعتني دفعا الى الاطلاع الاولي على سيرة ذاتية لناقد فلسطيني ومفكر من الطراز الاول ، اسمه احسان عباس وتدل سيرته المكتوبة بلغة عربية سليمة بسيطة على حب المفكر للناس وتضحيته من اجل اسعادهم فقد ذكر جميع مجايليه من الكتاب والمفكرين بتقدير كبير امثال جبرا ابراهيم جبرا و اميل حبيبي والاخرين ، هذه السيرة الذاتية لفلسطيني عاش ازمات المنطقة بقلبه وجوارحه وعقله اثرت تأثيرا كبيرا في الكاتب وصاغت شخصيته التي تميز بها الى ان حان وقت رحيله سنة ٢٠٠٣ بعد رحلة علمية تعليمية شاقة بكل من حيفا وصفد والقدس و القاهرة والخرطوم وبيروت حيث قضى اكثر من عقدين من الزمن في الجامعة الامريكية ، فقد عاش الكاتب مراحل من نضال قريته عين غزال و الشعب الفلسطيني عموما ضد الانجليز كما اكتوى بنار النكبة الفلسطينية سنة ١٩٤٨ وذاق مرارة الحرمان من الارض والوطن وتجرع علقم التنقل بين الدول المجاورة بين القاهرة وعمان وبغداد وبيروت حيث قادته متطلبات العيش من جهة وحيث تشتت الاهل والعشيرة من جهة اخرى.

تتميز السيرة الذاتية لاحسان عباس بالبساطة والسلاسة ولكن اساسا بالعمق الانساني والتلقائية في التعبير والصدق الذي ينفجر من الكلمات المستعملة ، فهو الذي " أجبر" على كتابة هذه السيرة من قبل اصدقائه ومعارفه ، لانه لا يرى في سيرته ما يستحق الذكر من أحداث كبرى و تقلد مناصب عليا ، هنا مرة أخرى يظهر الكاتب تواضعه وزهده من الاضواء الكاشفة والشهرة الملعونة لديه كما يذكر في كتاب سيرته ، يقول الكاتب والناقد الفلسطيني احسان عباس في مقدمة سيرته : "فاتحني عدد غير قليل من الاصدقاء في ان أكتب سيرتي الذاتية ، فأخذ اقتراحهم يمثل هاجسا يدور في نفسي ، ويستثير ذاكرتي ، ولذا توجهت الى اخي بكر عباس أسأله رأيه في الامر ، فكان جوابه المباشر ان قال : لا انصحك بذلك، لان حياتك تخلو او تكاد من احداث بارزة ، تثير اهتمام القارئ وتطلعاته."-١-

عاش احسان عباس حياة طفل فقير في وسط قروي بسيط يعيش أهله على زراعة بسيطة حتى ان أباه باع مجموعة من املاك العائلة من اجل تسديد ديونه المتراكمة بفعل فشل تجارته ، يقول احسان عباس عن هذه الواقعة ، " وحين دخلت الى بيتنا ذات يوم وجدت امي واختي في حالة حزن شديد وبكاء صامت ، ولما سألت عن السبب ، قالت امي : ان والدك قد باع قطعتين من ارضنا ليسد دينه." ٢- ص ٦٣ ، نشأ الكاتب في جو الحرمان والفقر والبؤس الاجتماعي ، حيث حرم الاطفال من الالعاب والدمى والابتكارات الحديثة ، لذلك اضطروا الى ابتكار العاب تقليدية تتماشى مع وسطهم الفقير والمعدم ، ولعبت المدرسة التي تم إنشأها في مسقط راسه في قرية عين غزال دورا حاسما في تغيير مسار الطفل احسان الذي تعب كثيرا من تشابه هذه التسمية مع اسم احسان النسوية في مناسبات عديدة محرجة. فكيف دخل الطفل احسان الى المدرسة ؟ : " كان الدخول الى المدرسة لا يمكن ان يتم قبل بلوغ السابعة، ولكن صداقة والدي للمعلم الاول (المدير) في مدرسة القرية ذللت هذه العقبة ، فقبلت وانا في سن السادسة ." ٢ ص ٢٩ .

واعتبر المفكر الفلسطيني ولوجه المدرسة إيذانا ببدء مرحلة التحرر من بعض القيود المفروضة من طرف أهل القرية وتعلم فيها العابا جديدة وتطورت ثقافته ، يقول احسان " ادخلت المدرسة الى نفسي ابتهاجا لم يكن لها به عهد ، بما وفرته من تنوع ، فالى جانب حل الغاز الدروس ، وازدياد منسوب الثقافة ، عوضتني عن الالعاب الريفية الخشنة ألعابا لم أكن اعرفها ، فهناك لعبة كرة القدم ، وركض المسافات المعينة وشد الحبل ، والقفز فوق الحبل ، والتمرينات الرياضية." ٣ ص ٣٣ .

بعد مرحلة الطفولة الشاقة ، انتقل الطفل احسان الى مرحلة جديدة، مرحلة الدراسات الثانوية بحيفا وصفد ،حيث احتك بالمدينة وتعرف على شروط العيش فيها رغم حنينه الدائم الى قريته واهله واخوته على وجه الخصوص اخاه بكر عباس الذي أحبه كثيرا ورافقه طيلة فترات حياته. وتشي سيرة "غربة الراعي" لاحسان عباس عن واقع المرأة المزري في هذه المرحلة التاريخية، حيث ان المرأة بصفة عامة تعاني من إسار التقاليد الاجتماعية المجحفة ، و يمكن ان نصف هذه المرحلة الدقيقة التي تعيشها المرأة بمرحلة الحب الممنوع ، فحالة نوار التي أحبها الكاتب دون ان يستطيع مفاتحتها في الموضوع امتثالا لتقاليد القرية ومريم التي ثارت على ظلم القرية وتعرضت للاهانات والنبذ كلها مؤشرات على ان المرأة في المجتمع الفلسطيني القروي كانت مضطهدة ومسلوبة الارادة في الفترة التاريخية التي عاش فيها صاحب السيرة .

يقول احسان عباس بخصوص المرأة ما يلي : " وكنت اعلم ايضا ان الحب ممنوع في الريف ، وان قصة (مريم) قد حددت كل شئ بخطوط سوداء او حمراء لا قبل بمحوها او طمسها او التغاضي عنها.لكنها خفقة صبيانية بريئة لا احب ان اهملها وانا اوشك ان اغادر القرية."٤ ص ٤٠ . لكن عباس بثورته الغير معلنة منذ البداية ضد العادات والتقاليد المتخلفة حاول تكسير نظرية الحب الممنوع وتحويله(الحب) الى مباح ولو من بعيد، فتعلق قلبه بفتاة اسمها "نوار" واستطاع التقرب منها والحديث اليها لكن يبدو ان الفتاة لم تكن تشعر بنفس الشعور اتجاه عباس ، يحكي الكاتب عن هذه الواقعة ما يلي:"وقد جلسنا معا في ظل شجرة على مقربة من الحقل ، ولكني لم أجرؤ على ابتداء حديث معها، إذ كنت اجهل كيف يكون الحديث الى فتاة لا أجد واياها أرضا مشتركة نقف عليها، وهكذا ضيعت فرصة لن تسنح ابدا ، وعدت الى القرية حين عاد العاملون في الحصاد ، وأنا أحس بالبؤس وبعدم القدرة على ان اكون انسانا سويا." ٥-١١٩.

في خضم الانفتاح الممنهج لاحسان عباس في البحث عن العنصر الآخر لاثبات ذكورته وسويته ، جاءه الاب او الوالد بما يمثله من قوة اجتماعية ودينية وسيطرة اقتصادية "باعتباره معيل الاسر ة" فارضا فتاة على ابنه عباس ليتزوجها ، فكان التحول الكبير في حياة المفكر الفلسطيني الذي لم يستطع مقاومة رغبة الوالد ، فكانت الصدمة الاولى .

يحكي الكاتب عن هذه التجربة المريرة ما يلي :"قلت :هبني وافقت على فكرة الزواج فانا أرفض هذه الطريقة جملة وتفصيلا.قال "الوالد" لا أظنك ترضى أن تمرغ لحيتي في الوحل ؟، فانا قد أعطيت كلمة نهائية لوالد الفتاة .قلت : ولكن من حقي أن أكون صاحب الرأي فيما يخص مستقبلي ، وكلمتك ليست شيئا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه....قلت : لا اظن انك انفقت كل السنوات الماضية في تعليمي لكي تجعل مني انسانا معطل الارادة."٦-١٥٦ لكن لماذا أصر الوالد على ابنه عباس بتزويجه من فتاة بعينها وبهذا الالحاح؟ : "كنت اعلم ان لدى والدي أسباب اخرى تجعله يصر على تزويجي ، من أهمها توقه الى ان يرى له حفدة من ابنه الاكبر، ومنها انه تابع لعادات الريفيين في التبكير بالزواج.ولكن الذي حيرني بل اذهلني هو لماذا اختار هذه الفتاة دون غيرها ؟، هذا لغز لعلي لن أحله ابدا....فإن الفتاة

التي قبلت هذه الطريقة في الزواج مظلومة مثلي او اكثر مني قليلا ، ذلك اني استطعت ان اقول لا في لحظات المواجهة ، وان لم تفدني هذه ال "لا" أما هي فأظنها قد لا تستطيع ان تقول ذلك." ٧-١٥٨ .

لاحسان عباس علاقة هيامية وغرامية مع القراءة والكتاب والشعر ، اذ ان سيرته حافلة بالمطالعات والقراءات المتنوعة وباللغات المختلفة ، ذلك ما يبين موسوعيته واطلاعه الكبير على الادب اللاتيني واليوناني والعربي والانجليزي ، فهو مولع بمسرحيات شكسبير وخصوصا رائعته هاملت و مولع بالادب الاندلسي وعميده ابن حزم ، كما تأثر بمقابسات وأدب ابو حيان التوحيدي ، حكى لنا الاديب احسان ظروف ارتباطه وولعة بالقراءة منذ مراحله العمرية الاولى هو ورفاقه الطلبة في الكلية الموجودة بالقدس عندما قال :" واخذوا لا يقنعون بساعات المذاكرة بل يتحدون قوانين الكلية ويقومون في الليل ، فإذا وجد احدهم حماما خاليا اضاءه وجلس يدرس ، وهناك طلبة يذهبون الى غرفة النجارة (المنجرة) –وهي مبنى منفرد مستقل- واخرون يحضرون "البطاريات" ويضيئونها وهم في فراشهم ويخفونها تحت الفراش ليقرأوا ." ٨-١٢١

وقال في موضع اخر من الكتاب يشرح فيه بعض قراءاته مايلي :"وكنت قبل دراسة أدب القرن الثامن عشر قد تعلقت بالشعراء الرومنطقيين : كولردج وورد زورث وكيتس وشلي وبايرون وبخاصة الثاني بين هؤلاء ، كما تعلقت بما درسناه من مسرحيات شكسبير وبخاصة مسرحية هاملت ، التي اصبحت المرافق لي في الكلية وبعدها ، قرأتها في الكلية مرات ومرات ، واظنها لونت حياتي بعد تخرجي بلونها الخاص" ٩-١٣١ .

وقد تاثر كثيرا احسان عباس بالشاعر الروماني "كاتلوس" وترجم بعض أشعاره وقصائده الى اللغة العربية ، كما انبهر بالادب الانجليزي وخاصة قصيدة ميلتون "ليسداس" في رثاء صديقه كنغ . وتبقى شخصية مريم هي الشخصية المحورية في السيرة الذاتية لكاتب غربة الراعي لما تمثله في نظر احسان عباس من نموذج للمرأة المقهورة والمظلومة والتي استطاعت ان تكسر قيود الماضي وحنينه نحو العبودية والتخلف والاستلاب في وقت كانت مريم في الماضي تمثل بالنسبة لاحسان وساكنة قريته نموذج المرأة المنبوذة والمنحرفة ، ففي فقرات كاملة تحدث المفكر احسان عباس بلغة اعتذار ومراجعة لمواقفه السابقة عن مريم ابنة القرية التي ناضلت بقوة من اجل خلاص المرأة لذلك قال عنها:"اليوم وانا اتطلع الى الماضي البعيد أجدك لم تقنعي بالثورة من أجل الحب بل أمعنت في التحدي ، حين أحببت قاتل عمك .كيف غفلت عن كل هذه الارادة يوم حققت ذاتها.حين مشيت في دروب الحياة معطل الارادة ، ممزق النفس بين رسوم الطاعة وواجب العصيان.اليوم فقط وانا اتطلع الى الماضي البعيد .سقط عن عيني حجاب الغفلة الكثيف ، لقد سخر الزمن مني حين امتد بي الى هذه اللحظة التي تحطمت فيها جميع البنى المادية والمعنوية ، وعجزت عن الوقوف على اطلالها. قد يكون هذا الاعتذار جاء متأخرا كثيرا ، ولكنه كان يدور في نفسي منذ مدة غير قصيرة وإنما تأخر كما تأخرت كتابة هذه الاعترافات."١٠-٢٦٤

تعتبر سيرة احسان عباس نبراسا للاجيال المقبلة لما تحتضنه من معاني الحب والانسانية المتراكمة عبر تجاربه المتنوعة والغنية في ربوع واصقاع العالم ، من طفل قروي مغمور ولد في شهر ديسمبر في احدى القرى القريبة من حيفا ١٩٢٠ الى كاتب ومفكر عالمي ملأ بعلمه الجامعات البريطانية والامريكية والالمانية منذ بداية السبعينات والثمانينات، صحيح انه زاهد في الحياة كما يحكي هو ذلك عن نفسه ولكنه استطاع ان يدخل الى قلوب وعقول الكثير من الادباء والمفكرين العالميين الذي غرفوا من ثقافته الواسعة واستفادوا من تحقيقاته المتميزة للوثائق التاريخية وترجماته المحكمة لفن الشعر لدى ارسطو وغيرها من الترجمات التي افاد بها المكتبة العربية.

ويبقى ان نقول في الختام بان قضية فلسطين كعمق انساني وحضاري كانت حاضرة في سيرته، وان لم تكن بالزخم الكبير المتوقع من فلسطيني عانى النكبة وفراق الارض وتشتت الانسان وغياب الوطن ، كما ان عدم الانتماء السياسي المباشر للمفكر والاديب الفلسطيني الى الأحزاب السياسية ساعده في الاحتفاظ على علاقاته مع جميع الاطياف رغم صداقته القوية مع الشيوعيين في تلك المرحلة اكثر من غيرهم وان كان الانتماء السياسي في ما مضى سبيلا من سبل الشهرة والترقي الاجتماعي .

غربة الراعي لم تكن سيرة ذاتية تحكي عن الماضي فقط ولكنها غربة الراعي في الفترات الاخيرة التي عاش فيها الكاتب ، أمراض الشيخوخة وخذلان البعض وان كان تسامحه يضفي بظلاله على الجميع، يقول الكاتب احسان عباس : "

وقد اكتشفت منذ سنة ١٩٩٤ انني اصبحت فريسة لأمراض الشيخوخة ، وقد قال لي طبيب نفسي ان مشكلتك هي الكآبة ، فقلت له : لا عجب في ذلك بعد شهود كل هذه الماسي في حياة امتي " ١١-٢٦٢

ويختم رسالته الى الاجيال المقبلة بنبرة تواضعية منقطعة النظير موضحا ما يلي :" وقد وضحت لي كتابة هذه السيرة مدى أخطائي في رحلة طويلة ، ولكنها من جهة أخرى كشفت لي عن استمراري طويلا في الخضوع لقيم القرية دون محاكمتها او مراجعتها،كما أبانت لي أن كل ما لقيته من الآلام في تلك الرحلة لا يقف في طول مليمتر واحد الى جانب الآلاف أمتار الآلام التي عاناها الشعب الفلسطيني ...ثم انني لا أحب ان أسابق الذين يتحدثون عن مصلحة الأجيال المقبلة وأزايد عليهم ، لاني اعتقدت ان الأجيال المقبلة ستدرك مصالحها ضمن ظروفها وبيئاتها ، فأما هؤلاء الأوصياء على الاجيال المقبلة فلست منهم في شئ. إني حين أجد أن حياتي كانت تقررها الظروف المتغيرة يوما بيوم او عاما بعام اعتقد انه ليس من حقي ان أفرض مفهومات عصري على عصور تالية ولا ان ارسم لها منهجا اعده-غير صالحا لها- قبل ان ارسمه على الورق .هذا هو رأيي وأرجو ان اكون مخطئا."

وختاما نقول : لكي لا تستمر غربة المفكرين الحقيقيين في زمن الرداءة والاصطناع.

المراجع:

*جميع المقتبسات مأخوذة من كتاب غربة الراعي ، تأليف إحسان عباس الطبعة الأولى الإصدار الثاني ٢٠٠٦ دار الشروق للنشر والتوزيع . (انغير بوبكر)

المفكر اللبناني علي حرب، منظر الثورات الناعمة وناقد الحقيقة والنص

ينتمي الكاتب اللبناني علي حرب ، الى جيل المفكرين والنقاد الذين ولدوا في فترة الاستعمار وازدهار حركات التحرر الوطني ، وهذا جيل ثقافي وفكري متفرد باعتباره شاهد عيان على المعارك الثقافية والفكرية والسياسية الكبرى التي عرفها العالم ،من سقوط العرب امام (اسرائيل) عسكريا وسياسيا وتبخر الاوهام الوحدوية العربية و سيطرة انظمة ديكتاتورية تسلطية على رقاب الناس في الشرق الاوسط والادنى وانهيار جدار برلين وما تمخض عنه من تطورات فكرية وجروح ايديولوجية لم تندمل بعد . تحولات سياسية كبرى طبعت المسارات الفكرية والثقافية والفلسفية لعي حرب

وجيله ، جيل تغنى بالثورات الاشتراكية وسيطرة الفكر اليساري عالميا ولم يحصد سوى انظمة البؤس والقهر والطغيان، كما انه جايل صعود الحركات الاصولية في ايران بعد الثورة الاسلامية وتابع عن كثب نمو حركات الاخوان المسلمين في ارجاء العالم الاسلامي .

علي حرب اذا ،منتوج تحولات كبرى فرضت على المثقفين من أمثاله الالتجاء الى الفلسفة والفكر كمهمة نضالية أولا في اطار المقاومة والممانعة ضد واقع مهزوم ، تهيمن فيه الجمل الثورية والمشاريع الفكرية الكبرى لكن تستبد فيه القوة والقمع والقهر على صعيد الممارسة ، وثانيا ومن اجل استنهاض وعي وفعل جماهيريين لفهم الواقع وتغييره ، فالفكر الفلسفي عند علي حرب ليس ترفا فكريا او ترسيمات نظرية او فذلكات لغوية تستهوي قلوب القراء والمتتبعين ، هو قبل كل شئ ، نضال وتضحية لاجل غايات مجتمعية عملية لتجاوز واقع الاستبداد والتخلف والامية بجميع انواعها واشكالها التي تنخر المجتمعات الثالثية.

كتابات وابداعات الفيلسوف علي حرب تنخرط في نقد الحقائق والمسلمات الجاهزة سواء تعلق الامر بالعقائد اوالهويات وفي مساءلة ممارسات وافكار المثقفين والسياسيين ، الفيلسوف علي حرب عمل نقدا ذاتيا قاسيا للذات المثقفة النخبوية المتعالية على هموم الناس البسطاء ، الى حد ان البعض اتهمة بجلد الذات والتحامل على الطبقة المثقفة لذلك يصرخ قائلا : " ولا اراني أجلد نفسي او أظلم غيري ، عندما انتقد المثقف واعترف بان جيلنا قد فشل في ما طرحه من شعارات ، لانه فقد القدرة على التفكير الحي والتخيل الخلاق ، اي ما به يجترح امكانات جديدة لحياة حرة ، لائقة كريمة ... هذا العجز عبر عنه أحسن تعبير الروائي المصري صنع الله ابراهيم بقوله تعليقا على الثورة الجارية في بلده : حتى في الحلم لم اكن اتخيل ان تكون هذه الثورة ممكنة.

راجع ملحق الكتب في جريدة لوموند ١١ فبراير ٢٠١١" ١ في موضع اخر من نفس كتاب المفكر علي حرب ثورات القوة الناعمة ، ينقد المفكر علي حرب استعلائية المفكرين النخبويين، داعيا اياهم الى مراجعة مواقفهم وافكارهم التي أدت الى حجب الحقيقة عنهم لأنهم تمسكوا بالفكر النظري المجرد بدون ممارسة فعلية ميدانية " ثمة من يأخذ علي بأني أغالي في الهجوم على النخبوية الى حد يجعلني لا أرى فرقا بين أهل العلم والفلسفة ، وبين بقية الناس ، من حيث العلاقة مع الشأن الفكري . وليس لي الا التأكيد على موقفي ، بان التفكير بصورة حية ومبتكرة ليس حكرا على الفلاسفة والعلماء ، من المفكرين المحترفين ، المنتجين للافكار، بل هو ميزة الانسان عامة .على هذا النحو أقرأ مقولة ديكارت القائلة ،انا افكر اذن انا موجود ، ..." ٢

من المفاهيم الكبرى التي شدتني الى فكر المفكر علي حرب ، والتي استمد بعضا منها من المدرسة التفكيكية التي يعتبر احد روادها المعاصرين، مقولة العقل التواصلي الميديائي ومفهوم القوة الناعمة، فعلي حرب ابدع عدة معرفية ومنهجية جديدة، سواء في تحليله للاوضاع السياسية والفكرية المتسمة بالفوضى وغياب المعنى واغتراب المصلحين والعقلاء ، او لمحاولته التنظير والتفسير للثورات والانتفاضات التي تعرفها الكرة الارضية في شقها الجنوبي اي الشرق الاوسط وشمال افريقيا منذ سنة ٢٠١١ الى يومنا هذا ، بل ناصر علي حرب الانتفاضات ضد الاستبداد والظلم واعتقد ان تاريخا جديدا يدون في المنطقة بعد سقوط الشعارات الكبرى المضللة للوعي والفكر ، وانهيار الفكرانيات (=الايديولوجيات) الاسمنتية وبروز الدور الفعال للشباب والنساء لاحتلال مقدمة الاحداث ،مؤكدا ان لا عودة الى الوراء لان ما يحدث يطوي صفحة ويفتح اخرى ، ويدخلنا في عصر جديد شاء من شاء او ابى من ابى .

يقول الاستاذ علي حرب متحدثا عن هذه التغييرات الكبرى التي نعيشها وتجلياتها ونتائجها المتوقعة : " والاهم ان ما حدث في تونس، ويحدث في غير بلد عربي ، وبخاصة في مصر ، هو وليد لثورة المعلومات والاتصالات التي

اتاحت البث والاتصال للصور والمعلومات بسرعة البرق والفكر ، بقدر ما هو ثمرة للقوى الجديدة الصاعدة على المسرح، والتي باتت من معطيات الواقع العالمي الراهن .هناك اولا صعود بلدان كانت على الهامش ، بل وراء العرب ، فاذا بها تصيح أمامهم ، كالصين والهند والبرازيل وماليزيا وتركيا ، مما عنى كسر أحادية النموذج والقطب والمركز في التنمية والسياسة والمعرفة.

على صعيد اخر يسجل صعود المرأة ، خاصة في ميدان السياسة ، على نحو يكسر خرافة الفحولة وقيمومة الذكورة .من هنا فالمرأة العربية اليوم جزء من الثورات الجارية بحيويتها وفاعليتها. وأخيرا هناك صعود الأجيال الجديدة ، الشابة ، الفتية ، التي تفلت من عقال الايديولوجيات الاسمنتية والمنظمات "الجهادية" الارهابية ، لهذه العوامل، وبخاصة الشباب ووسائل الاعلام ، الدور الاكبر في حصول الثورة الجارية ، التي هي ثورة سلمية مدنية لا تشبه ما سبقها..... وهكذا فهي ليست اشتراكية ولا ناصرية ولا "جهادية" كما يتمنى او يحن او يحلم ديناصورات العقيدة والفلسفة والسياسة والثقافة .لانها ابنة عصر العولمة بأدواتها الفائقة وتحرريتها (=ليبراليتها) الجديدة التي تتيح فضح المستور وكشف الاسرار." ٣ .

استطاع علي حرب بفكره الخلاق الجذاب وأسلوبه الانسيابي الباهر أن يفكك أمراض النخبة المثقفة والمجتمعات في نفس الوقت ، ففضح تكلس وجمود النخب الثقافية المتخلفة عن الركب الثوري ، المصدومة بالتغيرات التي تحدث في المجتمع وفي صفوف الجماهير ، فما جرى ويجري في كل ربوع بلداننا المتخلفة المقهورة ، ثورات وانتفاضات " شعبية غير مسيسة ، خرجت عن الأطر الحزبية الحديدية والقوالب الايديولوجية الاسمنتية ، حيث يسود الشعار الواحد والخطاب الواحد والرأي الواحد ، وربما الزي الواحد .

نحن إزاء انتفاضات معاصرة لا تعمل تحت اي يافطة زعيم اوحد أو قائد ملهم او بطل منقذ ، ولا يختزلها معتقد اصطفائي او عقيدة مقدسة او نظرية ثورية لا تخطئ . ولذا فهي أبعد ما يكون عن النماذج التي جسدها لينين اوماوتسي تونغ او كاسترو او الخميني .انها ثورات ذات هوية مركبة هجينة، بقدر ما هي مفتوحة ، ومتعددة بقدر ما هي متحركة." ٤

وختاما اقول بان التعريف الشامل والدقيق بمفكر موسوعي من حجم الفيلسوف علي حرب مهمة صعبة بل مستحلية ولكن مقالنا لا يستهدف التعريف الشامل بافكار ونظريات علي حرب ، بل نهدف من خلاله تعريف القارئ الكريم بباحث ومفكر أسدى خدمات كبيرة للفكر العلمي المنهجي في بعده النقدي التركيبي ، حيث ان المفكر علي حرب داعية تجاوز لافكار الصنمية وللمفاهيم السحرية وللاستعلاء الفكري والنخبوي ، علي حرب نموذج المفكر الثوري الذي يقترح للخروج من المازق الحالي الذي نعيشه جميعا التحلي بعقل تداولي وفكر تركيبي ومعنى التداول والفكر التركيبي لدى علي حرب :" التداول هو في وجهه الاول إتقان لغة التوسط والحوار والتواصل .فالعلاقات بين البشر تبنى وتثمر بخلق البيئات والاوساط او الوسائط و الوسائل التي تتيح التواصل والتعارف والتبادل .فمن غير وسط او توسط من لغة ومحادثة او حجة ومحاورة او قاعدة ومؤسسة يسيطر العماء والخواء او يعم الاقصاء والاستبداد..... من مقتضيات التداول التعامل مع الواقع لا بعين ضيقة او بصورة تبسيطية وحيدة الجانب، بل على نحو تركيبي وبصورة مرنة ومفتوحة.فالواقع ليس معطى نهائيا او نظاما احاديا خطيا او حتمية صارمة ومقفلة. الأحرى النظر اليه كمعطى متحرك ملتبس بقدر ما هو مسرح للعب والمجازفة او مجال الخرق والعبور ." ٥

كتابات وافكار علي حرب تقوي في جيلنا فكر التحرر والانعتاق من المعتقدات البالية والافكار المثالية المتعالية على الاحداث والتجارب ، لذلك فكره يحذرنا من القوالب الفكرية المتحجرة والمتاريس العقائدية ومن فكر المؤامرة

الدائمة والافخاخ الذاتية لحجب الكائن او لشن الحرب على الاخر" فليس الاخر هو الجحيم دائما " وتعليق كل اخطائنا وعثراتنا على العدو المفترض والمصنوع والذي يواجهنا عند كل رغبة في الانتفاضة على الاوضاع القائمة و الرغبة في التحول الديموقراطي المشروع .

فكر علي حرب منارة تنير لنا طريق المستقبل ، فكر يدقق في المفاهيم ويشرح المسارات ويشي بالمخارج من المأزق لكن واقعنا المأزوم بجعل ازماتنا مضاعفة داخلية وخارجية ، معرفية ونفسية ، سياسية واقتصادية ، في فترة الازمات والانتكاسات والاحباطات من كل حدب وصوب تجعل الفكر الفلسفي مهما كانت توريثه ومصداقيته العلمية والمنهجية ، عاجزا عن تفسير حالة التنامي الذي لا يعرف الانقطاع والتوقف في تأبيد الاستبداد وانظمة القهر والذل في انتاج المزيد من التوترات التي تطيح باي امل نحو التطلع الى اللحاق بركب الدول الديموقراطية المستنيرة ، ما حدث من فضائع دموية في اليمن وسوريا ومصر ... بسبب استبداد الانظمة القائمة وتمسكها بالنهب والسلطة والثروة ورفضها الخضوع لمنطق التاريخ وحتميته في التغيير ، يسائل عقلنا السياسي وانسانيتنا وتاريخنا لعلنا نعرف لماذا عجزنا ان نكون انسانيين ، ديموقراطيين حداثيين.؟

المراجع:

١-علي حرب : ثورات القوة الناعمة في العالم العربي من المنظومة الى الشبكةالطبعة الثانية ٢٠١٢ ص ٦٣

٢- حرب : ثورات القوة الناعمة في العالم العربي من المنظومة الى الشبكةالطبعة الثانية ٢٠١٢ ص٧٧

٣- حرب : ثورات القوة الناعمة في العالم العربي من المنظومة الى الشبكةالطبعة الثانية ٢٠١٢ ص-٥٤-٥٣

٤- حرب : ثورات القوة الناعمة في العالم العربي من المنظومة الى الشبكةالطبعة الثانية ٢٠١٢ ص٧٠

٥- علي حرب مجلة التسامح العدد ٥ شتاء ٢٠٠٤ ص ٢٢٧-٢٣١

جورج طرابيشي المفكر الحداثي المتنور، فولتير الفكر الاسلامي

سيظل اسم المفكر السوري جورج طرابيشي الحلبي المولود سنة ١٩٣٩ من اسرة مسيحية محافظة- كما يروي ذلك بنفسه في عدد من الاستجوابات والكتابات- والمتوفى في منفاه الباريسي في مارس ٢٠١٦ ، علامة مضيئة في تاريخ النضال الفكري والثقافي في مجالات النقد الادبي والترجمة وفحص مكنونات الثرات الاسلامي نقدا ونقضا .

وستظل مساهماته النظرية في هذا المجال نموذجا للفكر العلمي المكافح المهموم من أجل اللحاق بركب الحداثة ومتطلباتها العلمية والفكرية .

وقد تميز انتاجه الفكري بغزارة كبيرة ومتنوعة فترجم الكتب الماركسية المهمة وقدم لنا كتابات الوجودية لسارتر و اليسار الجديد لالتوسير وكتاب الانسان ذو البعد الواحد لماركيوز وغيرهم من عمالقة الفكر الماركسي واهتم ردحا من الزمن بالفرويدية وترجم عدد كبير من كتابات سيغموند فرويد ، بل تأثر بالتحليل النفسي وطبق منهجه في دراسة نقدية لعدد من الروايات العربية واصدر كتب مهمة استثمر فيها التحليل النفسي بجدارة واقتدار مثل كتابه الذي نشره سنة ١٩٧٧ شرق وغرب ، رجولة وانوثة : دراسة في ازمة الجنس والحضارة في الرواية العربية . وكتاب عقدة أوديب في الرواية العربية نشره سنة ١٩٨٢ وكتاب الله في رحلة نجيب محفوظ وغيرها من الكتب الادبية الهامة التي

الهمت جيل ثقافي واسع في السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن الماضي ، اشتغل الطرابيشي في مجلات عربية كبيرة ورائدة لها بصمات واضحة على الفكر العربي المعاصر مثل مجلة دراسات عربية ومجلة الوحدة .. ، و استطاع المفكر جورج طرابيشي ان ينعتق من أسر التصنيفات الايديولوجية رويدا رويدا متجاوزا الاقانيم الفكرية التقليدية من قومية واشتراكية الى رحاب التحليل العلمي المنضبط فقط للمناهج التفكيكية والبنوية العلمية متأثرا بما اسماه التبعية للعلم المفهوم الذي ابدعه غاستون باشلار .

هذا التحول من الفكراني (=الايديولوجي) الى المعرفي (=الابستيمولوجي) ، ليس بالامر السهل او الهين بل تطلب منه تدرجا وانفتاحا واكب التحولات الكبرى والهزات العنيفة التي عرفها العالم شمالا وجنوبا على كافة الاصعدة الفكرية والسياسية ، لكن عدد كبير من المثقفين التقدميين بقوا مقيدين بالخطابات السابقة التي تجاوزها الواقع ، لذلك يؤاخذ المفكر السوري جورج طرابيشي على بعض المفكريين المشتغلين بالثقافة العربية المعاصرة بقائهم اسرى العقل الفكراني (=الايديولوجي) المنمط ، حيث يقول متحدثا عن هذا النوع من المثقفين (١) : **"فرغم التقدم المذهل الذي أصابه العلم العالمي في المئة سنة الاخيرة ، فاننا نلاحظ غيابا تاما لوجود مفكريين علميين في الحقل التداولي بالثقافة العربية المعاصرة ، على عكس ما كان عليه واقع الحال في عصر النهضة يوم كانت تلمع اسماء دعاة كبار لاستتباع العقل للعلم .....وشخصيا لست استثني نفسي من هذا النقص في التكوين العلمي الذي تعاني منه جملة النخبة (=الانتلجنسيا) العربية ، وان يكن انفتاحي –ترجمة وتأليفا- على التحليل النفسي في السنوات الاخيرة قد ساعدني على الانعتاق –منهجيا على الاقل- من عقلي الايديولوجي السابق."**

اشتغل جورج طرابيشي في عقوده الاخيرة بمشروع فكري ضخم حاول فيه استخدام ما اسماه بالحفر الآثاري (=الاركيولوجي) للتراث(٢) وساهم في ذلك التوجه، نقده المنهجي والمعرفي لكتب الراحل محمد عابد الجابري حيث استمرت رحلته النقدية لمشروع الجابري حوالي ٢٥ سنة وخصوصا كتابيه نحن والتراث وتكوين العقل العربي ، حيث تناول الطرابيشي المشروع الفكري للجابري بالمقاربة النقدية والتمحيصية بدأ من المراجع المصرح بها من طرف الجابري والتي سكت عنها ، انتهاءا الى الخلاصات والاستنتاجات والاشكايات المغلقة التي صاغها وشبهها الطرابيشي بحبائس ، بطريقة الخف بالخف او النعل بالنعل كما ذكر ذلك مقدمة كتابه الأول نقد نقد العقل العربي (نظرية العقل) .

ينتمي جورج طرابيشي الى تيار عقلاني وعلماني-كما يكمل أنغير بوبكر- يدعو الى استعمال العقل في كل الامور الدينية والدنيوية، فاختلف مع الجابري في مفهوم وضرورة العلمانية التي اعتقد الجابري انها بنت غريبة عن دار الحضارة الاسلامية ودعا الى الاكتفاء بالنضال من اجل العقلانية ولم يكن طرابيشي وحده الذي انتقد الجابري بسبب موقفه من العلمانية بل انتقده كثير من المفكرين والمؤرخين الذين اعتقدوا ان الديموقراطية والعلمانية والمواطنة بنات من نفس الاسرة الانسانية المعاصرة لا تتحقق احداها الا بوجود الاخرى ويمكن في هذا الاطار ان نرجع الى موقف المؤرخ اللبناني الكبير وجيه كوثراني في كتابه تأريخ التاريخ حيث انتقد نقد الجابري للعلمانية واعتبر ذلك رضوخا للسياسي الايديولوجي وتجاهلا للمعطى المعرفي (=الابستيمولوجي) العلمي ومهادنة سياسية للحركات الاسلاموية اكثر منه موقف علمي رصين.

التيار العقلاني الذي ينتمي اليه المرحوم الطرابيشي يسعى الى اعطاء أولوية لإعمال سلاح النقد ورفض المعتاد والسائد أي معاداة الدوغمائية و وادعاء امتلاك ناصية الحقيقة.لذلك يرى بأن أي فكر نقدي يجب ان يخوض معاركه الفكرية على جبهات متعددة ومن هذه الجبهات النقدية يدعونا الطرابيشي الى الاعتراف بان عالمنا المعاصر استفاق

مفزعا، على نتائج صدمات كبرى ثلاث وأخرى خاصة بنا نحن الشعوب المتخلفة، ما سماه جورج طرابيشي انتصار العقل الصانع على العقل الساحر وانتصار الدنيوي على الديني.

ليس من السهل الاحاطة بكتابات جورج طرابيشي في مختلف المجالات التي انخرط فيها مفكرا وناقدا ومترجما والتي تتجاوز ٢٠٠ كتاب و ٣٠٠ مقال ساعيا لرسم خط فكري واضح ومتماسك .

لذلك اعتبر شخصيا -يقول أنغير بوبكر- ان كتاباته الاخيرة "من اسلام القران الى اسلام الحديث" و كتاب العقل المستقيل في الاسلام وكتاب المعجزة او سبات العقل في الاسلام من الكتابات الثورية في الفكر الاسلامي من حيث وضوحها في الانتصار للمقاربة المنهجية العلمية في التعامل مع التراث وكذا لان هذه الكتابات تحمل رسائل وخلاصات اساسية في نقض استغلال الدين سياسيا من قبل السلطات السياسية الاسلامية باختلاف مذاهبها ، كما ان هذه الكتابات تحريض بالمعنى الايجابي للكلمة على الثورة على القوالب الدينية الجامدة المنتظرة للمعجزات لتطوير وتثوير الواقع .

المفكر الطرابيشي ، شانه شأن اي انسان اخر ابن زمانه ، لكن الذي يجعل كتاباته مميزة وراهنية هي مقاربته التفكيكية للقوالب الجاهزة وسؤاله الصادم الموقظ من سبات الركون الى الاجابات الجاهزة والقوالبة المتجمدة ، للمفكر طرابيشي حدس فلسفي بلغة هنري برغسون من حيث عشقه للسؤال ورفضه للاجوبة المالوفة المكررة.

ياليت لنا بعضا من امثال الطرابيشي يملؤون الارض فكرا وعقلا بعد ان ملئت جورا وجهلا.

المراجع :

١-جورج طرابيشي : مقال منشور تحت عنوان قصة الانسان في مجلة الابواب البيروتية التي تصدر عن دار الساقي عدد ٢٧ ص ١٠٤

٢- ربما يعتبر المفكر الفرنسي ميشيل فوكو من اكبر رواد حفريات المعرفة وتاثر به الجابري وطرابيشي واخرون خصوصا كتابه الهام حفريات المعرفة الذي ترجمه الى العربية المفكر المغربي سالم يفوت.

٣-اورد الكاتب ANDRE LANGANEY في كتابه la plus belle hidtoire de l’homme ,editions du seuil , paris 2000 ونقل عنه الطرابيشي في المقال المذكور اعلاه مايلي ص ١٠٦ : -ولئن كان قد بات معروفا منذ ايام داروين (١٨٨٢-١٨٠٩) ان الانسان ينحدر من القرد ، فان احد الكشوفات الكبرى للبيولوجيا النووية في العقود الثلاثة الاخيرة من القرن العشرين قد اثبتت ان القرد الذي ينحدر منه الانسان هو حصرا الشانبنزي الذي يشارك الانسان في اكثر من ٨٠ في المئة من جيناته الوراثية..."

٤-جورج طرابيشي : المعجزة او سبات العثل في الاسلام دار الساقي الطبعة الثانية ص ١٨١

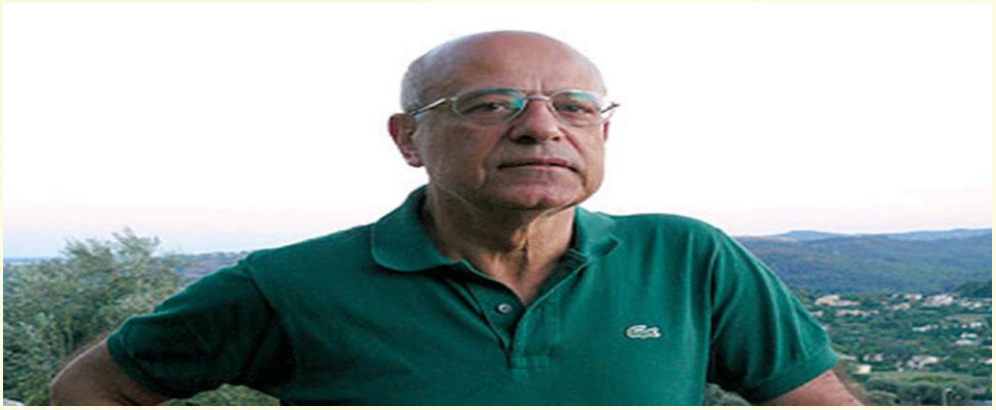

عبد الرحمن بدوي: عميد الفلاسفة المعاصرين وموسوعي متبحر في العلم والترجمة.

في شهر فبراير من سنة ٢٠٠٢ فقدت الساحة الفلسفية العالمية ، هرما من أهرامات الفلسفة المعاصرة ، فيلسوف استثنائي ليس فقط من حيث عدد انتاجاته العلمية وترجماته المتعددة التي تجاوزت ١٢٠ كتابا ، ولكن كذلك لتجربته الفلسفية الغنية التي دامت عقود من الزمن حيث ولد عبد الرحمن بدوي سنة ١٩١٧ ، جاب من خلالها تدريسا وبحثا عددا كبيرا من جامعات العالم من مصر ولبنان وليبيا الى طهران مرورا بسويسرا والمانيا وباريس والولايات المتحدة الامريكية والهند والكويت ... ، والتقى برجالات الفكر العالمي بمختلف الاوطان ، مستشرقين ومستغربين ، فاستحق بذلك ان نسميه عميد الفلاسفة المعاصرين. في سنة ٢٠٠٠ أصدرت المؤسسة العربية للدرسات والنشر كتاب من جزأين يحمل عنوان "سيرة حياتي" للدكتور عبد الرحمن بدوي ، ويقع الكتاب في حوالي ٨٠٠ صفحة متوسطة الحجم بدأه الكاتب بالجملة التالية :"بالصدفة أتيت الى هذا العالم ، وبالصدفة ساغادر هذا العالم !" .

ولد الفيلسوف عبد الرحمان بدوي في قرية صغيرة في مصر تدعى شرباص مركز فارسكور مديرية الدقهلية (ثم محافظة دمياط ابتداء من سنة ١٩٥٧)، وتقع على النيل عند الكيلو ١٩٦ فهو اذا ينتمي لاسرة زراعية وله ارتباط بالارض وشؤون الزراعة منذ سنوات طفولته، لنرى ما يقوله الفيلسوف بدوي عن مولده :"(وكان مولدي في حوالي الساعة الثانية من صباح الرابع من فبراير سنة ١٩١٧.وكنت الثامن من اخوتي واخواتي لامي ، والخامس عشر بين ابناء والدي ، وسيصبح المجموع واحدا وعشرين ولدا .احد عشر من البنين وعشرا من البنات .وكان ذلك تعويضا هائلا عما جرى لجدي ، فانه لم ينجب غير ولد واحد هو والدي.)" ص ١٥

اهتم عبد الرحمن بدوي منذ المرحلة الابتدائية بالتحصيل الدراسي والاهتمام المضني بالدراسة والتحصيل العلمي، يقول عبد الرحمن بدوي عن تعليمه الابتدائي ما يلي : " لقد كنا نحسن النحو والصرف ونقرأ النصوص الادبية –من شعر ونثر- في كتاب عنوانه : "مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع " في السنتين الثانية والثالثة ، ونقرأ ونحفظ نصوصا من كتاب : "أدبيات اللغة العربية " لحفنى ناصف واخرين ، وبذلك استطعنا حفظ وفهم روائع من القصائد والخطب والرسائل التي تعد من غرر الادب العربي.لقد استظهرنا قصائد للمتنبي وصفيّ الدين الحلّي وابي العتاهية وصالح بن عبد القدوس وغيرهم ، كما استظهرنا خطبا رفيعة المستوى لعلي بن ابي طالب وزياد بن ابيه والحجاج وواصل بن عطاء ، فضلا عن رسائل لعبد الحميد الكاتب ، والجاحظ .وان أنس لا أنسى مجيء مدرس جديد في منتصف العام حديث التخرج من دار العلوم ، وان أول درس شرحه لنا وألزمنا بحفظه هو وصف ابن المقفع لمن سماه "أخا" وبدأه بقوله : "كان لي اخ ".... فأين هذه النصوص الرائعة الجزلة من النصوص الغثة التافهة التي يقرأها تلاميذ المدارس اليوم في مصر ، ليس فقط في المدارس الابتدائية ، بل في الاعدادية ، بل في الثانوية ، بل وفي الجامعية؟ !.")ص

وحصل الفيلسوف المصري عبد الرحمن بدوي على شهادة اتمام الدراسة الابتدائية من مدرسة فارسكور الابتدائية في مايو ١٩٢٩ (وكان ترتيبه ٣٥٤ من مجموع الحاصلين على الشهادة الابتدائية في القطر المصري وكان عددهم حوالي مائة الف.) انتقل بعد ذلك الى المدرسة السعيدية الثانوية في الجيزة على الشاطئ الايسر من النيل امام القاهرة ، وكانت تلك الثانوية تعد في ذلك الوقت أرقى المدارس الثانوية في القاهرة ، لذلك يؤمها أبناء الطبقة الراقية والطبقة الحاكمة ويلجها بعض الفقراء ذي الميزات الممتازة وكان من بينهم المفكر بدوي الذي التحق بالقسم الداخلي للثانوية وبالصدفة التقى بمدرس جغرافيا كان قادما من انجلترا يقيم هو كذلك بالقسم الداخلي وساعده ذلك على الاستفادة من مكتبته القيمة . يقول عبد الرحمن بدوي عن هذه المرحلة العمرية الهامة : " أقام في الداخلية مدرس جغرافيا كان قادما لتوه من بعثة بانجلترة ، واسمه حسن جوهره .كان مدرسا جادا ، واسع الاطلاع ، وقد صقلت ذهنه إقامته في انجلترة ، وكان يؤثر العلم والتحصيل ، ولهذا كان يؤثر الطلاب المجتهدين ويرعاهم رعاية خاصة .ولإيثاره للعلم والتحصيل انشأ في قاعة صغيرة بالطابق الثاني من القاطه=البلوك الذي يسكن فيه الطلاب الداخليون مكتبة صغيرة ، ولكنها ثمينة لانها كانت تحتوي على عدد من أمهات كتب الادب العربي ، وأخص بالذكر منها : كتاب نفح الطيب للمقري، وشرح سقط الزند لابي العلاء المعري ، والحماسة لابي تمام والمنتخبات الشعرية التي اختارها سامر البارودي .وقد أقبلت على قراءة هذه الكتب –رغم صعوبة ألفاظها وعباراتها بالنسبة لي في تلك السن المبكرة وانا في الثالثة عشرة من عمري .... وفي الوقت نفسه-وانا في سن الربعة عشرة –بدأت اقرأ الشعر الانجليزي في نصه الانجليزي .وتصادف ان اشتريت من

مكتبة عتيقة صغيرة في شارع محمد علي وكنت قد بدأت في التردد على دار الكتب المصرية –ثلاثة كتب انجليزية .. ومن ملتون Miltonانتقلت الى الرومنتيك الانجليز فبدأت بشلي Shelleyواستظهرت قصيدة : الريح الغربية ....لكن ليس معنى هذا انني لم اطلع على الأدب الفرنسي ، بل بالعكس كنت قد قرات كتاب محمد حسين هيكل : جان جاك روسو : حياته من كتبه ، كما قرات ما ترجمه حافظ ابراهيم من قصة البؤساء لفكتور هوجو ... أما الادب الالماني فكان اول اتصال عميق به في السنة التالية ، سنة ١٩٣٢ وانا في الخامسة عشرة من عمري .") ص ٣٤-٣٦

بعد اتمام الدراسة الثانوية حصل بدوي على البكالوريا –شهادة الثانوية العامةالآن- قسم ادبي في يونيو ١٩٣٤ وكان ترتيبه الثاني على جميع طلاب القسم الادبي بمصر . في مرحلة الدراسات الجامعية ذات التخصص الفلسفي – وكان أبوه يفضل ان يتخصص ابنه عبد الرحمن في الحقوق لانه تخصص يخرج الوزراء والديبلوماسيين وعلية القوم لكن للقدر والصدفة دورها في الاختيار - تتلمذ عبد الرحمان بدوي على يد مفكرين مشهورين ومرموقين امثال "لالاند" (لقد كان تتلمذي على لالاند نعمة لا استطيع ابدا نسيانها ، ولا وفاءها حقها من الشكر وعرفان الجميل) ص ٦٤ و الكساندر كويريه Koyré وقال عن هذا الاخير :(كذلك كان لكويريه علي فضل عظيم ، لانه كان يجمع بين النزعة الميتافيزيقية والنزعة العلمية ، وكان يهتم بالتيارات الصوفية .. وثم ميزة اخرى لكويريه افدت منها كثيرا وهي معرفته الجيدة باللغة الالمانية وبالفلسفة الالمانية) ص ٦٤-٦٥ ومصطفى عبد الرازق الذي أثنى على خصاله الكثيرة حيث قال في حقه :"لقد كان النبل كله ، والمروءة كلها. كان دائما هادئ الطبع ، باسم الوجه ، لا يكاد يغضب ، وان غضب لم يعبر عن غضبه لا بحمرة وجهه وصمت كظيم : كان آية في الحلم والوقار.." ص ٦١ وطه حسين الملقب بعميد الادب العربي وصاحب الكتابات الروائية والادبية المميزة والمثيرة للنقاش والفضول العلمي ، ككتابه المثير للجدل والذي ادى الى طرده من الجامعة بعنوان في الشعر الجاهلي، تم تنقيحه واخراجه بعنوان جديد ،في الادب الجاهلي ورائعته "الايام" وغيرها

من الابداعات التي ماتزال تلهم الادباء والمفكرين في عصرنا الراهن يقول عبد الرحمن بدوي عن طه حسين ما يلي : " (واذا كنت قد حضرت كل ما تيسر لي حضوره من محاضرات الدكتور طه حسين ، فانما كان ذلك لاعجابي المفرط به وبصوته وهو يحاضر.وكنت قد سمعته يحاضر محاضرة عامة لأول مرة في حياتي في شتاء ١٩٣٣-١٩٣٤ لما ألقى محاضرة عامة في جمعية الشبان المسيحيين عن الشاعر الفرنسي العظيم بول فاليريPaul Valery فاخذ بلبي وسحرني بجمال صوته وعذوبة نبراته وروعة ادائه اللفظي...).

لكن الدكتور عبد الرحمن بدوي صب جام غضبه على الشيخ محمد عبده واصفا اياه بنعوت كثيرة واتهامات خطيرة تتراوح بين عمالته للانجليز وللقنصل البريطاني تحديدا كرومر من جهة و تواضع معرفته وعلمه من جهة اخرى رغم شهرة محمد عبده التي وصلت الى اصقاع الارض ، لنرى ماذا يقول فيلسوفنا عن محمد عبده ص ٥١:" لكن هذا هو ما فعله الشيخ محمد عبده ، مفتي الديار المصرية ، و "المصلح الديني" المزعوم ! فقد انعقدت بينه وبين لورد كرومر علاقة حميمة-ان صح ان توصف بالحميمة علاقة التابع بالمتبوع ، والذليل بالجبار، والمطيع الخاضع بالآمر المسكبر .بل كان محمد عبده هو نفسه يتفاخر ويتباهى بهذه العلاقة الوثيقة بينهما ، وبينه وبين سلطة الاحتلال ...وقد استغل كرومر علاقته هذه بمحمد عبده فجعله يكتب مقالات ضد محمد علي ، رأس الاسرة العلوية ، بمناسبة مرور مائة عام على توليه حكم مصر، وذلك في سنة ١٩٠٥ ..اي اصلاح ديني قام به ؟ لم يستطيعوا ان يذكروا الا تفاهات شكلية ، مثل تحليل لبس القبعة – وكأن هذا امر خطير جدا به يكون المرء "مصلحا دينيا" كبيرا !"

حصل عبد الرحمن بدوي في مايو ١٩٣٨ على "الليسانس" الممتازة في الاداب من قسم الفلسفة بكلية الاداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة الان)، وكان ترتيبه الاول ليس فقط على قسم الفلسفة ، بل على كل اوائل الاقسام الاخرى في الكلية وعين معيدا بالجامعة بتشجيع من الشيخ مصطفى عبد الرازق والعميد طه حسين .سياسيا انتمى المفكر بدوي في بداياته السياسية الى حركة مصر الفتاة ثم الى الحزب الوطني ردحا من الزمن واشتغل معهم فكريا في اعداد مقالات وارضيات فكرية في مواجهة خصومهم في الداخل والخارج ، وكتب مقالا هجائيا ضد عباس محمود العقاد بعنوان : "العقاد جهول يريد ان يعلم الناس ما لايعلم" بل مارس بدوي ورفاقه العنف المادي على العقاد لثنيه عن مواجهة حركة مصر الفتاة ، لكن بطش السلطات السياسية ضد الحركة والملاحقات البوليسية دفعت عبد الرحمن بدوي الى الابتعاد عن السياسة نهائيا والتفرغ للبحث العلمي وكان أول انتاج فكري للدكتور بدوي هو كتاب "نيتشه" الذي ظهر سنة ١٩٣٩ وكان هدفه من الاصدار هو تقديم خلاصة الفكر الاوروبي الى القارئ العربي واحداث ثورة روحية في الفكر العربي على حد قوله في سيرته، وقد طبع الكتاب الاول خمس مرات ولقي نجاحا كبيرا في مصر وخارجها، ثم تلا الكتاب

الاول، كتاب ثاني عنونه الكاتب ب "التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية" ويحتوي على جملة من الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع والتي كتبها عن كبار المستشرقين، وناقش بدوي رسالة الماجستير سنة ١٩٤١ وكان من اعضاء المناقشة كل من الشيخ مصطفى عبد الرازق وطه حسين وابرهيم مدكور كما ناقش اطروحته للدكتوراة سنة ١٩٤٤ بحضور نفس اللجنة وزيادة باول كراوس وكان عنوان موضوع الدكتوراة هو الزمان الوجودي والتي نشرت فيما بعد في كتاب تحت عنوان خلاصة مذهبنا الوجودي .

ثم بدأ بدوي مشوار التدريس بجامعة القاهرة في العام ١٩٣٩-١٩٤٠ ثم انتقل بعد ذلك الى لبنان مابين ١٩٤٧-١٩٤٨ ثم انتقل الى جامعة عين شمس ثم انتقل مستشارا ثقافيا ورئيسا للبعثة العلمية المصرية بسويسرا سنة ١٩٥٦ وخلال هذه المراحلة عايش بدوي الأحداث السياسية التي تموج بها مصر والمنطقة من الانقلاب العسكري الذي قاده الضباط الاحرار سنة ١٩٥٢ (ثورة يوليو-لجنة التعبئةالفكرية) ومشاركة عبد الرحمن بدوي في اشغال لجنة اعداد دستور جديد سنة ١٩٥٣ ضمن ٥٠ عضوا تم اختيارهم من الخبراء والسياسيين و العدوان الثلاثي على مصر وعدم اكتراث السفراء المصريين بالاحداث السياسية وانغماسهم في اللهو والملذات .. كما عرفت هذه المرحلة الوحدة التعسفية بين مصر وسوريا وسرعة انفكاكها لانها بنيت على الاوهام لا على الحقائق والمشاريع الملموسة.

السيرة الذاتية لعبد الرحمان بدوي طويلة ومتشعبة وغنية بأحداثها ومواقفها ولكي لا نظلم الرجل حقه ، اقول بكل مسؤولية ان هذه القراءة لسيرته الذاتية لا تدعي الاحاطة بجميع مراحل حياته ومواقفه وسفرياته ومحاضراته المتعددة ولكن سأحاول فقط ان أبين بعض المواقف والأفكار وأهم الشخصيات التي عاشرها الرجل وذكرها سلبا وايجابا ويبقى الحكم بطبيعة الحال للقارئ النبيه.

١- موقف عبد الرحمن بدوي من النازية ومن المحرقة اليهودية :(اما حملات النازية على اليهود فكانت جزءا من حملات النازية على من كانوا خصوم النازية في الفترة السابقة على توليها الحكم في ٣٠ يناير ١٩٣٣ .فكانت إذن عملا سياسيا محضا لا تفرق فيه بين يهودي وغير يهودي ...إن النازية انما كانت تجسيدا لشكوى الشعب الألماني من تغلغل نفوذ اليهود في المانيا بعد الحرب العالمية الاولى : في السياسة والاقتصاد والفنون ، وغيرها من مرافق الحياة ، واستغلال اليهود للمصاعب الهائلة التي حلت بالمانيا غداة هزيمتها، وسيطرتهم على مقاليد الحكم ومفاتيح الاقتصاد ووسائل الدعاية والاعلام...فبأي حق ، وفي اي شرع يجوز ان يتحكم نصف مليون يهودي في أكثر من ستين مليونا من الالمان ؟ !) ص ٨٨

٢- موقف عبد الرحمان بدوي من بعض الشخصيات الفكرية المصرية كمحمود امين العالم وغالي شكري وتوفيق الحكيم و زكي نجيب محمود وصدقي الدجاني وميشيل فوكو وسارتر وآخرين صادمة وقاسية جدا بالنظر الى اسهاماتهم الفكرية والادبية المؤسسة للوعي الفكري لاجيال باكملها ولكن يبقى ذلك موقفه الخاص به والذي يستدعي المزيد من التدقيق والتمحيص للخروج بالحقائق الضرورية لتنوير الوعي الجماهيري.

تتطرق سيرة عبد الرحمان بدوي الى أحداث سياسية جسام حملت تغيرات في المشهد السياسي والفكري في عالمنا المعاصر كحركة الطلاب بباريس ١٩٦٨ والثورة الخمينية بايران سنة ١٩٧٩ وبزوغ تيارات فكرية يسارية ويمينية متطرفة ، كما تتناول سيرة بدوي تحقيبا ثقافيا مهما وغنيا حيث انه يخصص لكل بلد زاره حيزا تاريخيا مهما ،يتطرق الى تاريخه و ومفكريه وفعالياته الثقافية ومآثره العمرانية والتراثية، لذلك تبقى سيرة حياة الفيلسوف عبد الرحمن بدوي منهاجا ضروريا لكل من اراد الاطلاع على تاريخ الافكار الفلسفية باوروبا والعالم.
قدم عبد الرحمان بدوي اسهام حقيقي للمكتبة الفلسفية والادبية العربية لذلك استحق ان نسميه بعميد الفلاسفة المعاصرين وموسوعة حقيقية في التحقيب التاريخي والعمراني للافكار الثقافية والاتجاهات السياسية السائدة في اوروبا والعالم اجمع.

ملاحظة :جميع الاحالات المذكورة بالمقال تتعلق بكتاب سيرة حياتي ج١: الدكتور عبد الرحمن بدوي الطبعة العربية الاولى ٢٠٠٠ المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

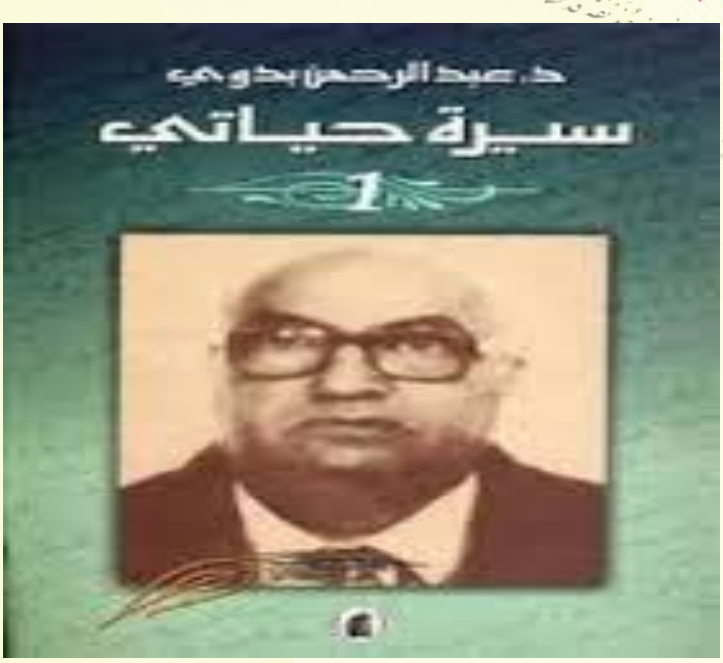

ونضيف على الموادة السابقة نحن في التعبئة الفكرية لحركة فتح هذه المادة الهامة المتعلقة بالمفكر عبدالرحمن بدوي كالتالي منسوبة لكاتبها عارف فكري عسران تحت عنوان: بدوي في كتاب: دفاع عن محمد صلي الله عليه وسلم، ضد المنتقصين من قدره

"لقد كتب المسيحيون تاريخًا غريبًا عن "محمد"، إنَّه تاريخ يمتلئ بالحِقد والكراهية له، لقد ادَّعوا بأنَّ "محمدًا" كان يسجُد لتمثالٍ من الذهب كانت تُخبِّئه الشياطين له، ولقد وصمه "دانتي" بالإلحاد في رواية (الجحيم)، وأصبح اسم "محمد" عنده وعند غيره مرادفًا لكلمة: كافر أو زنديق، ولقد كان محمدٌ في نظر كتَّاب العصور الوسطى تارةً ساحرًا، وتارةً أخرى فاجرًا شنيعًا يَسرِق الإبل، وكارديناًلا لم يفلح في أنْ يصبح بابا، فاخترع دِينًا جديدًا أسماه الإسلام؛ لينتَقِم به من أعدائه، وصارت سِيرته رمزًا لكلِّ الموبقات، وموضوعًا لكلِّ الحكايات الفظيعة".

أرنست رينان: دراسات في التاريخ الديني - باريس (١٨٥٩):

هكذا يُورِد المفكر "عبدالرحمن بدوي" هذه الفقرة ذات المغزى في مقدمة كتابه المهم "دفاع عن محمد - صلَّى الله عليه وسلَّم - ضد المنتقصين من قدره" على طريقة ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [يوسف: ٢٦]، والذي كتَبَه في الفترة الأخيرة من حَياته في باريس، وقد رأى بعينيه هذا الخليط المخيف من سُوء الفهْم، والنوايا الخبيثة، والعُقَد النفسية، والتي أُفرزت على هيئة كمٍّ كبير من المغالطات الرهيبة زخرت به كتاباتهم منذ قُرون طويلة، وكأنَّ الموضوعيَّة التي ينادون بها خيالاً لا أساس له، وبالفعل أنجز "بدوي" قلَّة من الكتب في هذا الشأن، لكنَّها قيِّمة، وتأتي أهميتها بأنها كتبت بلسان الأوربيين؛ فهذا الكتاب الذي بين أيدينا تمَّت ترجمته للعربية!

يتكلم "عبدالرحمن بدوي" في مقدمة الكتاب الكبيرة، والتي أسماها بـ"أسطورة محمد في أوروبا.. عشرة قرون من الادعاء الباطل، والافتراء" عن رحلة الظُّلم والجور لسِيرة أشرف الخلق، حيث يُعلِن غضبَه من جهل الأوربيين المطبق بتفاصيل سِيرة الرسول، وقد امتلأت عُقولهم بأساطير وأوهام وخزعبلات لا أساسَ لها من الصحَّة، وإنْ وجدت حادثة بسيطة رُويت بشكل موثوق في كتب السيرة، فهي تتحوَّل على أيديهم إلى أشياء لا يُصدِّقها عقل، وكلُّها تتَّفق - اللهم إلا من المُنصِفين منهم، وهم قلَّة على كلِّ حال - على إلصاق كلِّ نقيصة بالنبي الخاتم، ونزع كلَّ فضيلةٍ عنه؛ ليغدو في النهاية مجرَّد قاطع طريق، أو لص خطير، أو شهواني، أو قائد تجري القيادة في دمه إلى حدِّ الهوس!

ولأنَّ مُفكِّرنا من ذلك الطِّراز الذي يحترم المصادر الموثقة، فإنَّه يُورِد مصادره هنا وهناك، ويُحاول - بقدر الإمكان - إيجاد دلائل منطقيَّة يقبَلُها العقل، ويستَرِيح لها القلب، وهو - وإنْ كان موضوعيًّا - في النهاية مسلم يتحرَّك بدافعٍ من مشاعره واعتقاده، وإذًا الموضوع يتجاوَزُ مجرَّد بحثٍ كُتِبَ للنَّزاهة العلمية فحسب!

وهو أمرٌ لم يكن يتمتَّع به الأقدَمون أو المحدَثون للأسف، فلدينا الراهب "جيوبرت" رئيس دير "نيوجنت"، والذي تحدَّث عن بطريرك الإسكندرية الذي تُوفِّي، فأراد راهب آخَر يدعى "ماثوموس" - التسمية الغربية لسيدنا "محمد" - أنْ يخلفه، لكنَّه طُرِدَ من الكنيسة، وتزوَّج من أرملةٍ غنية تُدعى "خديجة"، ثم أعلن أنَّه نبيٌّ بين حشد الناس، وأتى ببقرةٍ ووضع كتابًا صغيرًا بين قرنَيْها، وأخفاها عن مُتَّبِعيه، ثم جاء اليوم الذي أخرج لهم فيها البقرة، وقرؤوا الكتاب - يقصد القرآن الكريم - الذي أحلَّ لهم كلَّ المفاسد، ورفَع عنهم كلَّ الالتزامات الخلقيَّة، والمُثُل العُليا!

ويُفنِّد "بدوي" هذه الأسطورة المفرطة في الحَماقة والغباء - على حدِّ قوله - حيث إنَّها بُنِيت على قصَّة "بحيرى الراهب"، وعلى سورة البقرة وهي الثانية في ترتيب السور.

معلومتان صغيرتان يعرفهما كلُّ مسلم، أتى الأوربيون لكي يبنوا على أساسهما فريةً عظيمة ضلَّلت الغرب لقرون وقرون!

وقِسْ على هذا كثيرًا؛ فالكتاب يزخَرُ بالقصص والحكايات والأساطير، والتي تفنَّن العلماء والرهبان والمفكِّرون في تأليفها وتدبيجها حتى تخدع العامَّة والخاصَّة على حدٍّ سواء!

إنَّ بعض الأساطير والقصص المفتراة تتحدَّث أنَّ "محمدًا" مجرَّد منشق عن الكنيسة، وأنَّه أراد أنْ يكون قائدًا مُظفَّرًا، وأنَّه تعلَّم التنجيم واللغات، وتحضير الأرواح، وأنَّه حرَّم الخمر لأنَّ أصحابه قتلوا "بحيرى الراهب" - معلمه وأستاذه - بسيفه، وعندما غضب عليهم اعتذَرُوا بأنهم شربوا الخمر حتى الثمالة؛ من أجل هذا حرَّم النبي الخمرَ على الناس!

قصة أخرى توضح الأمر أكثر:

فهناك "زينب بنت الحارث" زوج "سالم بن مِشكَم"، وهو زعيمٌ من زعماء اليهود، دعت الرسول لوليمة، وقدَّمت له شاةً مشوية، حشتْ كتفها بالسم الزُّعاف، وكان معه بعض صَحبِه، والذيأكل، بينما مجَّ الرسول بَقايا اللحم من فمه، وقال بأنَّ الكتف يخبره بأنَّه مسموم، وعندما سألها الرسول عن سبب فعلتها قالت بأنَّه لو كان مجرَّد رجل لتخلَّصوا منه، ولو كان نبيًّا لنجا!

هذه القصة كما وردَتْ في سيرة ابن هشام، فما الذي فعله الأوربيون بشأنها؟

لقد تحولت لشيء آخَر مخيف:

فإنَّ "نيقولا" - اسمٌ آخر من أسماء النبي عند الغربيين - عشق امرأةً تُدعَى "كاروفا"، وكان زوجها يُدعى "مرزوق"، ممَّا جعل الرجل يقوم بقتل "نيقولا"!

ويأتي "بيير باسكاسيو" بتفصيلات الحكاية أكثر، فالمرأة دعتْ "نيقولا" لمخدعها، وهجَم عليه أهلها، فقتلوه، وقطعوا يده اليسرى، وألقوا جثته للخنازير!

﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠]، كما يقول القرآن الكريم.

و"بدوي" هنا يقول معلقًا على تلك الحكاية الخرافيَّة، والتي بُنِيتْ على أساس قصَّة وردت في السنة لأسطورةٍ قبيحة لا تصدر إلا عن خيال مريض:

"انظر بأيِّ هوسٍ صاغ الكُتَّاب الأوربيون في القرن الثالث عشر هذه القصَّة الخياليَّة معتمدين على واقعةٍ بسيطة مذكورة في سيرة ابن هشام"!.

وللشيطان دورٌ مهم في أساطير الأوربيين؛ فهو الملهم الحقيقي للنبي، كما يقول "مونتكروس"، وهو راهبٌ دومانيكي، فهو - أي: الشيطان - قد شعر بالحقد على "هيركليس" البيزنطي، نتيجةً لانتصاراته المتوالية على الفرس، فأعطى "محمدًا" لبعض الهراطقة من اليهود والنصارى لكي يُعلِّموه؛ حيث كان أميًّا، وبالتالي فالنبي صنيعة الشيطان ذاته!

ويمضي "بدوي" كالفارس يُفنِّد هذا وذاك - بما آتاه الله من علمٍ وبصيرة - مفندًا دعاوى الغربيين، ويشرع في تناوُل بعض النِّقاط المهمَّة، والتي تُوضِّح الكثير من الأمور.

وما أحرى أنْ يُلقَى الضوءُ على كتب هذا الرجل وبقيَّة مؤلفات عُلَمائنا ومُفكِّرينا؛ فهي الرد الأمثَلُ على الفتن التي يُثار غبارها في الدانمارك، وغيرها من البلاد، وإنْ كان يحمد للمسلمين مظاهراتهم التي تنمُّ عن مشاعرهم، إلا أنَّه يبقى للحجَّة قوَّتها وسُلطانها؛ حيث تُخاطِب العقول والقلوب.

فالكلمة الصادقة تدلُّ على أنَّ "محمدًا" - صلَّى الله عليه وسلَّم - هو رحمة الله للبشريَّة جمعاء، وآخر قبس لنور النبوَّة على وجه الأرض.

رابط الموضوع: http://www.alukah.net/culture/0/31540/#ixzz4sLQUaA7E

هشام غصيب : المفكر الاردني المهموم بالتقدم والديموقراطية والجدل العلمي في البلدان الشرقية.

يعتبر هشام غصيب من المفكرين الشرقيين الذين احتفظوا بماركسيتهم الاصيلة ( ) بل يستعينون بمناهجها وتحليلاتها ، رغم الهزات التاريخية العنيفة التي عرفها الفكر الماركسي كونيا، بفعل تغيرات سياسية واقتصادية كبرى عرفها العالم ، احتفظ هشام غصيب برؤية ماركسية نقدية في تناوله لعدد كبير من القضايا الثقافية والسياسية والفكرية ، وساهم في إحياء مفاهيم ماركسية في التداول المفاهيمي والسياسي في حقبة تاريخية اعتقد فيها "الجميع" بان الماركسية كنظرية وكطموح تكوين مجتمع بديل ، خال من الاستبداد والعسف والظلم ، مبني على العدل والتوزيع العادل للثروات ،انتهى كحلم جميل وباتت الليبرالية والعولمة المتوحشة عنوان الحقبة الجديدة ، واصبح الانسان الليبرالي هو الانسان الاخير كما بشر ذلك فرانسيس فوكوياما وصمويل هنتغتون في تصوريهما لمابعد انهيار المنظومة الاشتراكية. لكن حلم المبشرين الجدد بنهاية العالم وسيادة الليبرالية المتوحشة كقدر حتمي ، لحسن الحظ نقضه و نغصه مفكرون ماركسيون جدد من أمثال هشام غصيب الذي قاده حلمه الجميل الى الاهتمام بقضية تطوير الوعي الجماهيري وتثوير الوعي العلمي لدى الطبقات الكادحة المتضررة من علاقات الانتاج القائمة .

تعرفت على بعض شذرات المفكر والفيلسوف والفيزيائي* هشام غصيب انطلاقا من كتابين وهما ضمن سلسلة كبيرة من الكتب العلمية والفلسفية التي انتجها واثرى بها المكتبة العربية ، الكتاب الاول الذي اطلعت عليه هو، هل هناك عقل عربي؟ قراءة نقدية لمشروع محمد عابد الجابري ، والثاني جدل الوعي العلمي: اشكالات الانتاج الاجتماعي للمعرفة . ففي الكتاب المخصص لنقد مشروع محمد عابد الجابري، استثمر الدكتور هشام غصيب العدة المنهجية و(الابستيمولوجية)

المعرفية البنيوية الماركسية في نقد منهجيات واستنتاجات محمد عابد الجابري، وبروح علمية يطبعها تواضع العلماء يعترف الدكتور هشام غصيب بالقوة التحليلية والجدالية للراحل الدكتورعابد الجابري، لم يمنعه تواضعه واعترافه باسهام الجابري في تفكيك اشكاليات التراث الاسلامي ، في انتقاد اطروحاته وتفكيكها وتبيان مثاليتها وتهافت بعض المناهج التحليلية المتبعة من طرفه.

يقول الدكتور هشام غصيب في نقده للجابري ما يلي : "ان الجابري يبدي من البراعة في فن الجدال ومن الأصالة في ابتكار المفهومات واستعمالها في دراسة تراثنا ما يجعل من الصعب حقا على القارئ مقاومة اغراء الوقوع تحت تأثيره وسحره .فهو يلهب الوجدان والخيال بسحر فكره بما يدفع القارئ الى تبني لغته وأدوات نقده من دون إدراك حقيقي لجوهر هذه اللغة وتلك الادوات. ومن ذلك تنبع أهميته وخطورته في آن....فهو أبرع المفكرين المثاليين في الوطن العربي اليوم واكثرهم خطورة ايضا لقدرته على النفاذ الى عقل القارئ وايقاعه بين شباكه السحرية المثالية ، مهما كان هذا القارئ محصنا بالفكر العلمي المادي."١. (الفكرالعلمي المادي يقصد به هنا الماركسي-لجنة التعبئة الفكرية)

سأحاول باختصار مخل وغير تام تبيان بعض اوجه التناقض الفكري والنظري الموجود بين الجابري وهشام غصيب ، في ثلاث نقاط :

١- تظاهر الجابري بالمادية على مستوى الاسئلة والتساؤلات والمعضلات والالتزام بالمثالية على مستوى الاجابات والحلول -٢- وقد بين الدكتور غصيب ذلك بجلاء في هذه الفقرة الهامة التي تؤكد اصرار الجابري على أن بالامكان خلق مشروع نهضوي بعقل ناهض، بدون مراعاة البنيات الاجتماعية الطبقية الحاملة للمشروع النهضوي ، اي ان الجابري حسب غصيب يسقط في نوع من الهيغلية وفصل تعسفي بين الفكرة وحاملها الاجتماعي الضروري لها ، ووصف اسئلته بانها تحمل نوع من الذنب الايديولوجي الذي لا يغتفر، لنرى ماذا يقول غصيب :" فالنهضة ، في نظر من طرح السؤال المذنب ، ليست مسألة مادية اجتماعية معقدة تنطوي على تناحرات حادة بين طبقات وفئات تسخر لتحقيق اغراضها كل ما في حوزتها من اسلحة وادوات (اقتصادية وسياسية وعسكرية وثقافية ومعرفية واجتماعية عامة). انها ليست حضارة جديدة تبزغ شمسها على انقاض حضارة قديمة تحتضر.وهي ليست مسألة نضالية تقودها حركة تحرر تاريخي، وانما هي مسألة فكرية في جوهرها: نهضة تبنى بعقل...كأن عملية النقد العقلي مشروع فكري محض يتم بمعزل عن المجتمع ونزاعاته المريرة." -٣-

٢- عرقية الجابري :يتهم المفكر غصيب الجابري بانه يمارس تمييزا عرقيا ، حيث أن الجابري يقيم تفاضلا لا تاريخي ولا علمي بين عقول مناطق جغرافية وإثنية على حساب مناطق جغرافية أخرى فيفضل العقل اليوناني الاوروبي على حساب العقول الهندية والصينية مثلا في تقسيم يذكرنا ببعض تصنيفات بعض المستشرقين(برنارد لويس مثلا) الذين أدعوا أفضلية بيولوجية وعقلية للجنس الابيض على حساب الأجناس الاخرى، يقول الدكتور هشام غصيب في هذه النقطة ما يلي :هكذا بهذه السهولة والرعونة الفكرية، يعزز الجابري تحيزا عرقيا اوروبي المنبع والجذور ، طالما جلدنا به الغربيون .اذ ان الغربيين لا يفتأون يروجون الفكرة العرقية بأنهم هم وحدهم القادرون على الابداع النظري .اما الشعوب الاخرى فهم اما نقلة (العرب) واما مقلدون (اليابانيون) .بل ان هذا الادعاء ورد جليا صريحا في كتاب هتلر "كفاحي" ."-٤-

٣- انتقائية الجابري وتغطيته الادعاء الفكراني (=الايديولوجي) بمبرر معرفي (=ابستيمولوجي): يقول هشام غصيب توضيحا لهذه النقطة: " فالجابري يحاول ان يوهم نفسه وقراءه انه مدرك تمام الادراك للاساس المادي الاجتماعي للفكر ، لكنه معني بالتحليل الابستيمولوجي ، ومن ثم فهو ليس ملزما بالتطرق الى هذا الاساس الذي ينتمي الى حقول معرفية اخرى ، وكأن التحليل المعرفي فعل روحي مستقل عن حركة المجتمع والتاريخ ، وكأن الفكر جزيرة معزولة تؤثر عليها المؤثرات المادية الاجتماعية من الخارج فقط .وهو تبرير ينطوي على تصور خاطئ للعلاقة بين القاعدة المادية الاجتماعية وبين الفكر .-٥- . الفرق المنهجي بين المفكرين عابد الجابري وهشام غصيب هو اساسا ان هذا الاخير استعان بالمنهج الديالكتيكي في تحليل العلاقة بين الفكر والواقع على شاكلة ووفق طريقة مهدي عامل (مفكر لبناني شيوعي-لجنة التعبئة الفكرية) في التحليل وانتقاد المساهمات الفكرية للباحثين والمفكرين الذين اشتغلوا بالفكر التنظيري(يمكن هناك الاستشهاد بكتاب مهدي عامل أزمة

البرجوازيات العربية أم أزمة الحضارة العربية؟) ، فيما حاول الجابري التخلص من إسار التحليل المادي الجدلي والانفتاح على بعض الاجتهادات الفكرية والنظرية الأوروبية وخاصة منهجية ميشيل فوكو وجاك دريدا ، التي اعتبرت من طرف الماركسيين الجدد مثالية جديدة لكن باسئلة مادية موضوعية.

لننتقل بعجالة كبيرة الى الكتاب الثاني للمفكر هشام غصيب، جدل الوعي العلمي: اشكالات الانتاج الاجتماعي للمعرفة ، حيث يبسط المفكر فكره بوضوح شديد حريص على منهجية علمية رصينة، مهووس بفكرة التقدم الحضاري وتجاوز التخلف، فالكتاب خريطة طريق من اجل الخروج من شرنقة التخلف والتبعية للغرب في جميع مستوياتها ، الكتاب يحمل التزاما واضحا نحو تطوير الوعي الجماهيري ليقوم بادواره التنويرية المصيرية لتحقيق الثورة الاجتماعية والثقافية والفكرية التي من شأن تحقيقها ان تجعلنا نحيا حياة كريمة في ظل أنظمة اقتصادية وسياسية عادلة ومستنيرة.

المفكر هشام غصيب استعان بعدة منهجية وآليات مفاهيمية جديدة مثل مفهوم الاستغراب وقل للدقة مهمة الاستغراب كآلية نظرية وعملية للحاق الحضاري بالغرب عبر استكناه واستنطاق تراثه وفكره ومحاولة الاستفادة من خبراته وتجاربه وعلومه بدون السقوط في شركه واستيلابه .

يقول المفكر هشام غصيب في تقديمه لمفهوم الاستغراب** :فالاستغراب هو سبيلنا لامتلاك الادوات المعرفية والنقدية اللازمة لتحرير نظرتنا الى الامور من اسار التحيز الغربي، ومن ثم للانفتاح على ماضينا وعلى الحضارات العالمية المتنوعة وفهمها وتفهمها .... والشرط الاساسي للتحرر من هذه الهيمنة هو معرفة الخصم معرفة دقيقة على جميع الصعد.ولكن بالنظر الى رقي الخصم وارتقائه وتقدمه ، فليس في مقدورنا معرفته او فهمه الا بمعاناة تراثه الحديث وباستعمال ادوات معرفية ونقدية مستمدة من ذاته."-٦-

ترى ماذا يقترح علينا هشام غصيب كخارطة طريق للتقدم والازدهار الحضاري ؟ يقول هشام جوابا على هذا السؤال :" لم نعان نهضة ثقافية على غرار النهضة الاوروبية ولم نعان ثورة علمية ولا ثورة فلسفية ولا اصلاحا دينيا جماهيريا ولا ثورة زراعية ولا ثورة صناعية ولا ثورات اجتماعية سياسية في اتجاه بناء الدولة الحديثة.وعليه ، فان هذه المهمات (الثورات) مازالت تنتظر من يحققها من قوى اجتماعية صاعدة.." -٧-

المفكر الماركسي هشام غصيب في سبيل بحثه عن اسباب تخلفنا ومسؤولية الاخراي المستعمر الاوروبي والغربي عموما في إدامته ، يتهم بشكل واضح وجلي الاستعمار الامبريالي في عرقلة جهود شعوبنا من أجل بناء مقومات الدولة الحديثة ، عبر تشجيع بل وخلق تنظيمات وتعبيرات ماضوية تيسر للاستعمار فرص البقاء ناهبا لأوطاننا، متواطئا من اجل استدامة تبعيتنا له كما يحمل المسؤولية كذلك للحملات الاستشراقية التي مهدت لاحتلال اوطاننا وتزوير تاريخنا وتشويه صورنا امام العالم ، يقول توضيحا لهذه الفكرة الهامة :" فكوننا الطرف المسحوق في شبكة الهيمنة التي تسود جزءا كبيرا من عالم اليوم يفرض علينا ان نتخطى ذاتنا الى رحاب حضارة الطرف المهيمن، وان ندك قلاع هيمنته باستعمال الاسلحة التي صنعها هو عينه وأخضعنا بها ، وفي مقدمتها الفكر العلمي.لهذا السبب ، يلجأ الطرف المهيمن الى اعاقة هذه العملية بصرف نظرنا بعيدا عن جوهره وادوات منعته بدفعه اما باتجاه الماضي ، وذلك بتعزيز الفئات المحافظة في مجتمعنا ، وإما في اتجاه الصورة الايديولوجية الوهمية بصدد ذاته....ولهذا يلجأ الطرف الغربي المهيمن الى تيسير السبل أمام عملية اعادة انتاج البنى الاجتماعية وانماط الانتاج القديمة في مجتمعنا.فهو يسعى الى اعاقة عملية التحديث الشامل ....فالوظيفة الاساسية للاستشراق هي التزوير التاريخي ، وخلق صورة ملتوية مشوهة للشرق تنسجم ونية الغرب في استعباد الشرق واستغلاله ونهبه ، وذلك من اجل تسخيرها في قهر الشرقي وتحطيم انسانيته وتحويله من ثم الى ظل ، مجرد ظل للصورة المشوهة." -٨- .

المفكر هشام غصيب طاقة فكرية وفلسفية ابداعية هائلة سخر كل امكاناته من أجل رفع الوعي الجماهيري بمتطلبات المرحلة الدقيقة المتميزة التي تعيشها شعوبنا ، لذلك نراه مدافعا شرسا عن التزام المثقفين والمفكرين بقضايا شعوبهم ، فهو ضد نظرية الفن من اجل الفن اوالادب من اجل التذوق والجمال فقط ، بل هو مهووس الى حد كبير بقضايا الديموقراطية والتقدم لذلك نراه يعيب على بعض المثقفين والمفكرين نخبويتهم وتعاليهم على الفئات الكادحة وهمومها ، يرى الدكتور هشام أن فرصتنا للحاق الحضاري بالآخر المتطور

ممكن ومنظور ولكن لابد ان نقتفي أثره ومناهجه بدون الذوبان فيه أي لابد من القيام بمهمات ثورية كبيرة تبدأ من الاصلاح ديني والقضاء على ما يسميه المفكر باللاعقل المقدس وثورة ثقافية وصناعية ممهده للثورة الاجتماعية السياسية الشاملة ، في ترابط جدلي بين الفكر والواقع ، اي ان ايجاد الحامل الاجتماعي للثورة الاجتماعية والسياسية ضروري للقيام بالمهمات الديموقراطية والثورية على صعيدي النظرية والممارسة..

المراجع :

- *هشام غصيب حصل على درجة الدكتوراة في الفيزياء النظرية من جامعة ليـــدز (بريطانيا) عام ١٩٧٦.

١-هشام غصيب : هل هناك عقل عربي ؟ قراءة نقدية لمشروع محمد عابد الجابري ، دار التنويرالعلمي للنشر والتوزيع طبعة اولى ص ١٢

٢- هشام غصيب : هل هناك عقل عربي ؟ قراءة نقدية لمشروع محمد عابد الجابري ، دار التنويرالعلمي للنشر والتوزيع طبعة اولى ص ١٥

٤- هشام غصيب : هل هناك عقل عربي ؟ قراءة نقدية لمشروع محمد عابد الجابري ، دار التنويرالعلمي للنشر والتوزيع طبعة اولى ص٢١

٥- هشام غصيب : هل هناك عقل عربي ؟ قراءة نقدية لمشروع محمد عابد الجابري ، دار التنويرالعلمي للنشر والتوزيع طبعة اولى ص٤٨

** مفهوم الاستغراب استعمله كذلك المفكر المصري الكبير حسن حنفي وعنون به مشروعه الفكري مقدمة في علم الاستغراب ، لكن الاسبقية الاستعمالاتية للمفهوم هي للمفكر الاردني هشام غصيب.

٦-هشام غصيب : جدل الوعي العلمي ، الطبعة الاولى ١٩٩٢ ص ٨٠-٨١

٧- هشام غصيب : جدل الوعي العلمي ، الطبعة الاولى ١٩٩٢ ص ٩٤

٨- هشام غصيب : جدل الوعي العلمي ، الطبعة الاولى ١٩٩٢ ص ١٠١

تم الاستناد كما بدأنا القول الى أجزاء كبيرة من مقالات الكاتب المغربي أنغير بوبكر المنسق الوطني للعصبة الامازيغية لحقوق الانسان –المغرب، حول المفكرين المذكورين وهو الباحث في قضايا حقوق الانسان والديموقراطية والتعدد الثقافي .

انتهى الملف

لجنة التعبئة الفكرية

في مفوضية الاعلام والتعبئة الفكرية

في حركة فتح

فلسطين سبتمبر ٢٠١٧